المدخل إلى العهد القديم

(الكتب المقدسة)

الدكتور القس صموئيل يوسف خليل



دار الثقافة

طبعة ثانية

الكتاب : المدخل إلى العهد القديم
المؤلف : د.ق. صموئيل يوسف
صدر عن : دار الثقافة- ص.ب ١٦٢ -١١٨١١ - البانوراما - القاهرة
رقم الإيداع : ٧٨٨٠/ ١٩٩٣
الترقيم الدولي : 6- 170 - 213 - 977
المطبعة : مطبعة سيويرس ت: ٦/ ٦٢٢١٤٢٥
الإخراج الفني والجمع : دار الثقافة
تصميم الغلاف : ماري عادل

١٠ / ٥٨٦ طم / ٢-٣ / ١٩٩٣ - ٢٠٠٥

صفنيا

أطلق على السفر صفنيا على اسم كاتبه. كما أطلق على ثلاثة أشخاص آخرين (قارن ١ أخ ٦ :٣٦-٣٨ ، إرميا ٢١ :١، ٣٧ : ٣ زك ٦: ١٠ ، ١٤) وعلى عكس ما ورد في بقية الأسفار فقد تضمن عنوان السفر سلسلة أنساب النبي التي تضعه في الجيل الرابع لحزقيا ملك يهوذا (١:١) الذي ملك من عام ٧١٥- ٦٨٦ ق.م تقريباً. في الوقت الذي يرى فيه بعض العلماء أن الاسم صفنيا بن كوشي يشير إلى أن أباه عبد حبشي في خدمة الهيكل، الأمر الذي يرفضه غالبية علماء الكتاب خاصة وأن الكلمة (كوشي) اسم ولا تشير إلى جنس معين لخلوه من أداة التعريف.

ويرى هؤلاء أن صفنيا قد جاء من نسل ملكي وتحدث بكلمات هذه النبوة ما بين عام ٦٣٨- ٦٠٩ ق.م تقريباً ويتضح ذلك من هجومه على نظم العبادة الباطلة، قبل الإصلاح العظيم، الذي قام به يوشيا الملك عام ٦٢١ ق.م والذي ربما يكون قد تأثر بكلمات صفنيا هذه. ويعتقد أن صفنيا النبي من مواطني أورشليم وذلك من وصفه الدقيق لضواحي المدينة (١: ٤ ، ١٠ -١١).

والاسم صفنيا يُعنى به في العبرية «الرب يُخفي أو يحمي» كما يتضمن الاسم الثقة في قوة الله بأن الرب يحمي من يعبده وقت الخطر. فقد ولد النبي أيام حكم منسي ملك يهوذا الذي حكم بقسوة شديدة لا ترحم وسفك دماء كثيرة ما بين عام ٦٨٧ - ٦٤٢ ق. م تقريباً وهو منسى الذي ملأ أورشليم بالدماء من أقصاها إلى أقصاها (٢ مل ٢١ :١٦).

أقسام ومشتملات السفر

يُكّون السفر وحدة واحدة، ويقع في ثلاثة أقسام رئيسية كما يلي:

أولاً : يوم الرب (١ : ١-٢:٣).

١- إعلان بعقاب عبدة البعل(١: ٢-٦).

٢- معنى يوم الرب (١ : ٧ -١٣).

٣- القضاء الآتي (١: ١٤ -١٨).

٤- سبل تجنب الدينونة (٢: ١-٣).

ثانياً: أحكام (دينونة) ضد الشعوب الأجنبية (٢: ٤ -١٥).

ثالثاً: ويلات وبركات (٣: ١- ٢٠).

١- إعلان بعقاب أورشليم (٣: ١-٨).

٢- تأكيد ببركة البقية الأمينة للرب (٣ :٩ - ٢٠).

الخلفية التاريخية وزمن الكتابة

ارتبط تاريخ مملكة يهوذا خلال القرن السابع ق.م بالحالة الراهنة لمملكة أشور تحت قيادة أسر حدون ٦٨١- ٦٦٩ ق.م وأشوربانيبال ٦٦٩ - ٦٢٦ ق.م حيث تولى منسى الحكم على يهوذا ٦٨٧ - ٦٤٢ ق.م بسماح من سادته

الأشوريين، لأجل مصالحهم وتحقيق أهدافهم. فكان منسى رمزاً للشر والرجاسات (قارن ٢مل ٢١) إذ فعل شروراً أكثر من جميع الملوك الأشرار ليسر ويبهج الأشوريين بتبني كل عاداتهم الذميمة، ونشرها في المملكة . بل أكثر من ذلك عبر ابنه في النار (٢مل ٢١ :٦) وعاد فبنى المرتفعات التي أبادها حزقيا أبوه وأقام مذابح للبعل، وعمل ساريه كما عمل آخاب ملك إسرائيل. وسجد لكل جند السماء وعبدها، وبنى مذابح في بيت الرب الذى قال عنه «في أورشليم أضع اسمي» كما بنى مذابح لكل جند السماء في دار بيت الرب (٢مل ٢١ : ٣-٥) . وملأ أورشليم بالدماء من الجانب إلى الجانب (عدد١٦) وجاء من بعده آمون ابنه، الذي سار في طريق الشر كما سلك منسى أبوه. والذي قتل بعد سنتين من ملكه على يهوذا وملك يوشيا ابنه عوضاً عنه (٢مل ٢١ : ١٩ -٢٦).

ولا يمكن مقارنة يوشيا في صلاحه وتقواه بإنسان آخر في كل تاريخ يهوذا الذي قيل عنه «لم يكن قبله ملك مثله وقد رجع إلى الرب بكل قلبه وكل نفسه وكل قدرته حسب كل شريعة موسى وبعده لم يقم مثله» (٢مل ٢٣ :٢٥).

ويمكن التعرف على حالة يهوذا أيام النبي صفنيا من سفره، الذي يعكس صورة كاملة لثمرة أعمال منسي الشرير، وآمون ابنه، وكل الرجاسات في أيامهما (صفنيا ١: ٤-٦ ، ٩ ، ١٢ ، ٣ : ١-٣، ٧). وإذا كان صفنيا من السلالة الملكية كما وردت الإشارة في(١ :١) فيكون قد تدرب وتهذب على أيدي أناس أتقياء من اليهود كما تدرب على يديهم يوشيا نفسه الملك الصالح. وربما يكون صفنيا قد تهذب أيضاً بتعاليم إشعياء وعاموس. وكان اهتمام صفنيا عظيماً بشعبه كما كان لإشعياء وناحوم وحبقوق من الأشوريين (٢: ١٣ -١٥). وفي (١:١) نلاحظ أن صفنيا تنبأ خلال حكم يوشيا ٦٤٠ -٦٠٩ ق.م وبدأ تحذيره وإنذاره للشعب عن يوم الرب الآتي ثمرة أفعالهم الشريرة كما يرى بعض العلماء عام ٦٢٧ -٦٢٦ ق.م وبهذا يكون واضعاً لأساس الإصلاحات الدينية العظمى التي قام بها يوشيا الملك، ضد الفساد الذي ساد البلاد لفترة تزيد عن نصف قرن هي مدة حكم منسى ملك يهوذا وابنه آمون. ولم يكن يقدر أن يتصدى لهما إنسان آخر قبل يوشيا الملك العظيم، «الذي عمل كل ما هو حسن في عيني الرب إذ لم يقم مثله ملك قبله أو بعده قد رجع إلى الرب بكل قلبه حسب شريعة الرب على يد موسى».

وحدة السفر

يرى علماء نقديون أن الأصحاح الأول كتبه صفنيا . أما عن الأصحاحين الثاني والثالث فكانا موضوع تساؤل من Stade الذي نفى عن صفنيا (الأعداد ١-٣ ، ١١) من الأصحاح الثاني والأصحاح الثالث بجملته . ويتفق معه في ذلك Schwally الذي يرجع (٢: ١-١٥)إلى تاريخ السبي والأصحاح الثالث من زمن ما بعد السبي.

أما K. Budde فيقترح إعادة ترتيب بعض النصوص في الأصحاحين الثاني والثالث كما يلي:

الأصحاح الأول ثم (٢ : ١-٣) وبعده (٣ : ١-٥، ٧-٩) وتاريخ كتابتها زمن ما قبل السبي أما (٣ : ٩-٢٠) فأرجعه إلى زمن ما بعد السبي.

أما A.B.Davidson فقد دافع عن الأصحاح الثاني وصحة انتسابه إلى النبي صفنيا وأعتقد بأن (٣: ١٠ ، ١٤ ، ٢٠) كتبه شخص آخر غير صفنيا.

وعن بوديسين Baudissin فيرى صحة وسلامة نسب الأصحاحين الثاني والثالث إلى صفنيا ما عدا بعض الأعداد (٢ : ٧ ، ٨ ، ١١ ، ٣ : ١٤ -٢٠).

ويرى داريفر Driver أن صفنيا (٢: ٧أ ، ١١ ،٣ : ٩- ١٠ ، ١٨ - ٢٠) أضيفت مؤخراً. ويرفض علماء الكتاب وعلى رأسهم هاريسون R.K.Harrison الاعتقاد بأن صفنيا لم يكن كاتباً للسفر بجملته. ولا يوجد سبب علمي أو مبرر لهذا الاعتقاد، أو لماذا لا يتنبأ صفنيا عن خلاص بيت يهوذا كلية (٣: ٨- ٣) بعد أن يتطهر من كل

خطية، في يوم الرب العظيم. الأمر الذي كان موضوع اهتمام أنبياء القرن الثامن ق.م (عاموس وهوشع وأشعياء وميخا) وواضح أن صفنيا تهذب بتعاليم إشعياء النبي، الذي نشأ وتربى في البلاط الملكي. وليس من مبرر أن ننكر أي جزء من السفر على صفنيا. كما أن إعلان الدينونة أو اقتراب يوم الرب، يختتم دائماً بدعوة إلى العودة والرجوع إلى الرب، فيما يطلق عليه بالرجاء المسياني وتردد هذا في نبوات عاموس وميخا وناحوم وحبقوق، وليس لدينا ما يقنع بأن شخصاً آخر غير صفنيا كتب أي جزء من أجزاء السفر.

رسالة السفر

يتمثل هدف السفر في إنذار مملكة يهوذا من الدمار الآتي. حيث أدان النبي ما شاهده من فساد وضلال في أورشليم. وانتفت الحياة الروحية من وقت بعيد من أسلافه(من زمن حزقيا الملك الذي صنع كل ما هو مستقيم في عيني الرب). وقد تبنى صفنيا أفكاره التي تهذب بها من أنبياء سبقوه عن يوم الرب(١:٤) (قارن عاموس٥ : ١٨-٢٠ ، وإشعياء ٢٠ : ٧-٢١) ليصف طبيعة يوم الرب يوم الدينونة. وفكرة النبي صفنيا عن البقية الأمينة المخلصة إنما تعود إلى تعاليم النبي إشعياء (قارن ٣ : ٢،١٣ :٧ مع إش :٢٠ -٢٢، ١٤:٢ مع إش ١١:٣٤، ٢ : ١٥ مع أش ٨:٤٧، ٣: ١٠ مع إش ١:١٨، ٨:٢ مع إش ٦:١٦).

وكان تأثير عاموس وهوشع واضحاً في حديث النبي صفنيا عن طبيعة القضاء الإلهي المطهرة، وكمعاصره النبي إرميا، يشير صفنيا موضحاً الصفة الخادعة للطبيعة البشرية الملآنة فساداً. منبراً بأن الاطمئنان الروحي والاجتماعي لا وجود لهما بعيداً عن الله الساكن في الإنسان (قارن إرميا ١٧ : ٩-١٤، وصفنيا ١٨:١ ، ٨:٣-١٢).

قريب هو يوم الرب العظيم

كما سلفت الإشارة، إن الإعلان عن هذا اليوم يعد مركز هذا النبوة. كما تعكس صدى تعاليم عاموس وإشعياء. .إنه «يوم سخط، يوم ضيق وشدة، يوم خراب ودمار، يوم ظلام وقتام، يوم سحاب وضباب، يوم بوق وهتاف على المدن المحصنة وعلى الشرف الرفيعة» ويوم الرب هذا ليس على يهوذا وأورشليم وحدها. بل أيضاً سيشمل نينوى عاصمة أشور التي ستختبر طعم الألم الذي أسقطته على الشعوب الأخرى (١: ١٥ -١٦، ٢ : ١٣ -١٥).

ولم يهتم صفنيا النبي بالتفاصيل السياسية. إذ لم يكن الأنبياء رجال سياسة، بل كانوا يعلنون قضاء الله ودينونته العادلة من الوجهة الإيمانية في الله، على أشور المملكة التي أدان بها شعبه الساكن في أورشليم وأرض يهوذا، بدون محاباة (٢: ١٣-١٥ ، ١:١٠) «قريب يوم الرب العظيم قريب وسريع جداً» (١: ١٤).

لذا يخاطب النبي الشعب ويحثه على اتخاذ القرار والتوبة ما دامت لديهم الفرصة، حتى يعلنوا رفضهم للعبادات الوثنية التي سادت البلاد كلها، من أيام منسى ملك يهوذا. والتي أضرت كثيراً بيهوذا وأورشليم. ويصدر قضاء على عبادة البعل «وأمد يدي على يهوذا، وعلى كل سكان أورشليم، وأقطع من هذا المكان بقية البعل اسم الكماريم، مع الكهنة والساجدين على السطوح لجند السماء، والساجدين الحالفين بالرب والحالفين بملكوم، والمرتدين من وراء الرب والذين لم يطلبوا الرب ولا سألوا عنه» (١:٤-٦).اطلبوا الرب، اطلبوا البر، اطلبوا التواضع: لعلكم تُسترون في يوم سخط الرب (٣:٢). ويصف النبي في كلمة واحدة قادة الأمة جميعها وسلوكهم غير المرضي أمام الرب، سياسين منهم وقضاة، وكهنة وأنبياء على السواء. الذين لم يقبلوا التأديب ولم يتكلوا على الرب ولم يتقربوا إلى إلههم .. إنهم أسود زائرة. ويشبه القضاء، بذئاب المساء، لا يبقون شيئاً إلى الصباح(٣: ٣-٤). وهنا يوجه صفنيا النبي دعوته إليهم بأن يطلبوا الرب .. ويطلبوا البر والتواضع، لأن هذه مسرة الرب.. وطلب البر يتمثل في عمل مشيئته، وأن يحفظوا أحكامه وتعاليمه، وخلاصه معد لكل ودعاء الأرض ليرفعهم ، ويضع الأشرار إلى الأرض(قارن مزمور

٧٦ :٩ ، ٤٧ : ٦ ، ١٤٩ :٤ ، إش ١١ :٤) والكلمة «لعلكم» تعني أن الخلاص هو من الرب فقط ولم يكن عن استحقاق بشري أو أجرة لعمل إنساني. غير أنها فرصة يجد فيها الإنسان الأمين حماه وستره في يوم غضب الرب (٢ :٣ قارن ١ :١٤ -١٨)ولعل بطرس الرسول اقتبس ذات التعبير في (أع ٨ :٢٢) لأن الرب فاحص القلب ومختبر الكلى (قارن أيضاً إرميا ١٧ : ٩-١٠).

قدّس مدعويه

إن هدف الرب هو التطهير وتجديد الشعب وليس الخراب والتدمير، أسكت قدام السيد الرب.. لأن الرب قد أعد ذبيحة. قدس مدعويه (١ :٧ قارن مزمور ٤٦ :١٠، حب ٢ :٢٠، زك ٢ :١٣، ١مل ٩ :١٣، ٢٢، ٢صم ٦ :١٩) لهذا يعلن صفنيا أن البقية ستنجو من العقاب (الدينونة) «شعباً متواضعاً فقيراً يتوكلون على اسم الرب، لا يفعلون إثماً ولا يتكلمون بالكذب ولا يوجد في أفواههم لسان غش يعيشون آمنين ولا من يخفيهم» (٣ : ٨-١٣).

وربما صارت هذه البقية أنوارا وبركة لكل أمم الأرض والممالك لأن ملكوت الرب هو للجميع (٢ :١١، ٣ :٩-١٠).